ووجه التسمية وقوع لفظ (صفا) فيها وهو صف القتال فالتعريف باللام تعريف العهد .

وذكر السيوطي في الإتقان : أنها تسمى (سورة الحواريين) ولم يسنده . وقال الآلوسي تسمى (سورة عيسى) ولم أقف على نسبته لقائل . وأصله للطبرسي فلعله أخذ من حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ (سورة عيسى) . وهو حديث موسوم بأنه موضوع . والطبرسي يكثر من تخريج الأحاديث الموضوعة . فتسميتها (سورة الحواريين) لذكر الحواريين فيها . ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين .

وإذا ثبت تسميتها (سورة عيسى) فلما فيها من ذكر (عيسى) مرتين .

وهي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد ا بن سلام . وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء أنها مكية ودرج عليه في الكشاف والفخر . وقال ابن عطية : الأصح أنها مدنية ويشبه أن يكون فيها المكي .

واختلف في سبب نزولها وهل نزلت متتابعة أو متفرقة متلاحقة .

وفي جامع الترمذي " عن عبد ا بن سلام قال : قعدنا نفر من أصحاب رسول ا A فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى ا لعملناه " فأنزل ا تعالى (سبح ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قال عبد ا بن سلام فقرأها علينا رسول ا . وأخرجه الحاكم وأحمد في مسنده وابن أبي حاتم والدرامي بزيادة فقرأها علينا رسول ا حتى ختمها أو فقراها كلها .

فهذا يقتضي أنهم قيل لهم : لم تقولون ما لا تفعلون قبل أن يخلفوا ما وعدوا به فيكون الاستفهام مستعملا مجازا في التحذير من عدم الوفاء بما نذروه ووعدوا به .

ما تقولون لم آمنوا الذين أيها يا) تعالى قوله في عباس ابن عن طلحة بن علي وعن A E لا تفعلون) قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن ا عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر ا أن أحب الأعمال : إيمان به وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به . فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم . فأنزل ا سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) .

ومثله عن أبي صالح أن السورة نزلت بعد أن أمروا بالجهاد بآيات غير هذه السورة . وبعد أن وعدوا بالانتداب للجهاد ثم تقاعدوا عنه وكرهوه . وهذا المروي عن ابن عباس وهو أوضح وأوفق بنظم الآية والاستفهام فيه للتوبيخ واللوم وهو المناسب لقوله بعده (كبر مقتا عند ا أن تقولوا ما لا تفعلون) .

وعن مقاتل بن حيان : قال المؤمنون : لو نعلم أحب الأعمال إلى ا لعملنا به فدلهم ا فقال : (إن ا يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا مدبرين فأنزل ا (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) . ونسب الواحدي مثل هذا للمفسرين وهو يقتضي أن صدر الآية نزل بعد آخرها .

وعن الكلبي : أنهم قالوا : لو نعلم أحب الأعمال إلى ا لسارعنا إليها فنزلت (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) الآية . فابتلوا يوم أحد فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) تعيرهم بترك الوفاء . وهو يقتضي أن معظم السورة قبل نزول الآية التي في أولها .

وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد . نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح . وكان نزولها بعد وقعة أحد .

وعدد آيها أربع عشرة آية باتفاق أهل العدد .

أغراضها .

أول أغراضها التحذير من إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين .

والتحريض على الجهاد في سبيل ا والثبات فيه وصدق الإيمان .

والثبات في نصرة الدين .

والائتساء بالصادقين مثل الحواريين .

والتحذير من أذى الرسول A تعريضا باليهود مثل كعب بن الأشرف .

وضرب المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى عليهما السلام .

والتعريض بالمنافقين .

والوعد على إخلاص الإيمان والجهاد بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفتح .

(سبح ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم [1])